



# في رحاب التوراة

دراسات وجوارات روحانية مُعمّقة في النصوص التوراتية الأسبوعية مع  
الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University



The Original text in English and translations to other languages can be found here:  
[Covenant & Conversation](#) | [Matot](#) | [The Complexity of Human Rights](#) | [The Rabbi Sacks Legacy](#)

"مَسْعِي" هو النصُّ الأسبوعي العاشر والأخير من كتاب "بِمَدْبَار" (أي سفر العدد). يبدأ هذا النصُّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع الثالث والثلاثين وينتهي بالآية الثالثة عشرة من المقطع السادس والثلاثين.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

## التعقيدُ في مسألة حقوق الإنسان

يختتم سفر بَمَدْبَار (سفر العدد)\* آياته بطريقة غريبة بالفعل، حيث نقرأ في نص سابق من نصوصه الأسبوعية وهو نصُّ يَنْحَاس عن بنات صِلفْحاد عندما جِئْنَ إلى موشيه/موسى مُطالباتٍ بحقِّ أساسه العدلُ وحقوق الإنسان<sup>1</sup>. فوالدهن توفاهُ اللهُ ولم يكن له أبناء ذكور، والميراثُ في حالة تقسيم الأرض يذهبُ عادة للذكور، لكن لم يكن هنالك أبناء ذكورٍ لصِلفْحاد. ومما لا شك فيه بأنه يستحقُّ أن ينال نصيبه من الأرض، وبناته هُنَّ الوريثاتُ الوحيداتُ له، واستناداً إلى أحقيتهنَّ في ذلك نَسأَلنَّ "لِمَ يَنْقُصُ اسْمُ أبِينَا من بين عَشيرته؟ إذ ليسَ له ابنٌ، فأعطينا نَحْلَةً فيما بين أعمامنا" تبعاً لما تذكره الآية الرابعة من المقطع السابع والعشرين من سفر العدد.

في الوقت نفسه، لم يتلقَ موشيه أي إرشادات بخصوص قضية كهذه، فتوجّه إلى الله عزَّ وجلَّ مباشرة لیسأله عن ذلك، وحكّم اللهُ لصالح البنات تبعاً لما تذكره الآية السابعة من المقطع والسفر نفسه حين قال: "نعم قالت بنات صِلفْحاد، أعطِهِنَّ حَوزَ نَحْلَةٍ فيما بين أعمامهِنَّ، وانقُلْ نَحْلَةَ أبِيهِنَّ لِهِنَّ" ثم بيّن اللهُ عزَّ وجلَّ لموشيه مزيداً من الإرشادات التي تتعلّق بتوزيع الميراث، وهكذا تتوالى أحداثُ القصة بالانتقال إلى الحديث عن قضايا أخرى.

وهنا فقط، أي في ختام هذا السفر، تتطرّقُ التوراةُ لحدثٍ ظهرَ مباشرة من صُلب أحداث هذا الموقف. فكبارُ قبيلة مَدَشِيه بن يوسف والتي ينتمي إليها صِلفْحاد جاؤوا حاملين هذه الشكوى: إن كانت الأرضُ ستذهبُ لبناتِ صِلفْحاد ثم تزوجنَّ برجالٍ من قبيلة أخرى فإن الأرضُ ستذهبُ بنهاية المطاف إلى أزواجهن وستصبح ملكاً لقبيلة أزواجهن، لذا فإنَّ الأرضَ التي مُنِحت في بداية الأمر لقبيلة مَدَشِيه قد يخسرون ملكيتها للأبد.

\*الحاخام سعديا جاؤون الذي قام بترجمة التوراة إلى اللغة العربية يُطلقُ على هذا السفر اسم "سفر التعداد" وليس "سفر العدد" الذي تبنّته الترجمة المسيحية للغة العربية، لأن هذا السفر يتطرّقُ لمسألة إحصاء بني إسرائيل وتعدادهم السكاني.

فتوجه موشيه إلى الله عز وجل حاملاً معه هذه القضية مرة أخرى، فبين له الله خلاً بسيطاً لها: تستحق بنات صلفحاد قطعة الأرض، وقبيلته تستحقها أيضاً، لهذا إن أردت أن يحفظن بملكيتها فإنه ينبغي عليهن الزواج من رجال قبيلتهن، وهذه الطريقة كفيلة باحترام مطالب الجهتين في الوقت نفسه. وفي هذه الحالة تكون البنات قد خسرن بعضاً من حرّيتهن في اختيار أزواجهن، لكنهن لم يخسرن حقهن في الأرض.

إن القصتين مرتبطتان ببعضهما البعض إلى حد كبير، فكلا القصتين تستخدمان المصطلحات والمفردات ذاتها، إذ تذكر القصتان بأن بنات صلفحاد وكبار القبيلة قد "اقتربوا"، والفعل الذي يصف احتمالية خسارتهما هو ذاته المذكور في القصتين: "يجراع"، بمعنى انتقص، وفي كلا القصتين يرد الله عز وجل باستخدام التعبير ذاته تبعاً لما تذكره الآية السابعة من المقطع السابع والعشرين والآية الخامسة من المقطع السادس والثلاثين: "كين... دوفروت/دوفريم" بمعنى أن كلا الجانبين مُحَقَّقٌ<sup>2</sup>. فلماذا إذاً نرى كلا الواقعتين في مكانين مُفصلين في النص التوراتي؟ لماذا يختتم سفر العدد آياته بطريقة تبدو وكأن الأمور تنقلب رأساً على عقب؟ وما هي علاقة هذه القصة بالوقت الحاضر؟

إن سفر العدد هو كتاب يتعلق بالأفراد، فيبدأ بالإحصاء والتعداد، لكن غايته من ذلك لا تتعلق بتزويدنا بالأرقام الحقيقية لتعداد بني إسرائيل آنذاك بقدر ما تتعلق بأن "يرفعاً" "بيوت آبائهم" (عبارة توراتية تعني حساب كل فرد) بحسب ما تذكر الآيات الثانية والثانية والعشرون من المقطع الرابع، هذا التعبير الاستثنائي الذي تستخدمه التوراة لتوصّل رسالة بأن الله عز وجل حين يأمرهم بالتعداد فهو يريد لبني إسرائيل أن يدركوا بأنه يوجد لكل فرد منهم قيمة وأهمية.

ويركز سفر العدد أيضاً على سيكولوجية الأفراد، حيث نقرأ عبر آياته حالة اليأس والإحباط التي تملكت موشيه في أكثر من موقف: عندما وجه شقيقه أهارون/هارون وشقيقته ميريام/مريم الانتقادات له، وعندما عاد العيون دون أن تكون لديهم الجرأة على جلب أخبار إيجابية، بالإضافة إلى الموقف الذي ظهرت فيه مجموعة من الساخطين بقيادة قورح والذين لم يكونوا راضين عن قيادة موشيه لبني إسرائيل. كما نقرأ أيضاً بين ثنايا هذا السفر عن يهوشوع/يوشع بن نون وكلف/كالب بن يفونيه والداد وميداد، وداتان وأفيرام، وزمري وبنحاس وبالاق وبلعام وغيرهم.

وهذا التركيز على الأفراد يبلغ ذروته في دعاء موشيه لله "إله أرواح كل البشر" حتى يُعَيِّن رجلاً يخلفه تبعاً لما تذكره الآية السادسة عشرة من المقطع السابع والعشرين، حيث فهمه كبار الحاخامات ومنهم الحاخام شلومو يتسحافي (المعروف بالحاخام راشي) على أنه يريد أن يُنصَّب قائداً يتعامل مع كل فرد من بني إسرائيل على أنه فردٌ بحد ذاته، وتكون علاقته بقومه مبنية على أساس تميزهم وفرديتهم التي تمتعوا بها.

وهذا هو السياق لمطلب بنات صلفحاد، فقد كُنَّ يُطالبن بحقوقهن كأفراد، وهذا مطلبٌ عادلٌ بالطبع. ومثلما بيّن كثير من الحاخامات والمفسرين فإن سلوك النساء خلال سنين الرحلة في الصحراء كان سلوكاً نموذجياً مثالياً، في حين كان سلوك الرجال هو النقيض من ذلك، فالرجال لا النساء هم الذين قدّموا الذهب لبناء العجل الذهبي، كما أن العيون كانوا من الرجال لا من النساء. وهُنالك تعليقٌ شهيرٌ للحاخام كلي يقار (الحاخام شلومو إفرام لونتشتيس 1550م – 1619م) يرى فيه أن موشيه لو بعث بعيون من النساء لا من الرجال لجلبن له أخباراً جيّدة<sup>3</sup>. وانطلاقاً من عدالة قضيتهن فقد أكد الله عز وجل على حقوقهن الفردية.

لكن المجتمع ليس مبنياً على أساس الأفراد وحسب، ومثلما يُبيّن لنا سفر القضاة فإن الفردية هي الاسم الآخر للقوضى مصداقاً لما تذكره الآية السادسة من المقطع السابع عشر والآية الخامسة والعشرين من المقطع الحادي والعشرين: "وفي تلك الأيام لم يكن ملكٌ في إسرائيل، فكان كل واحد يفعل ما يحسن في عينيه". بالتالي هنالك إصرارٌ بين ثنايا سفر العدد على مركزية دور القبائل باعتبارها الحاضنة المنظمة للحياة اليهودية. فبنو إسرائيل كان يتم إحصاؤهم قبيلةً قبيلة، كما أن التوراة تُبيّن الترتيب المُحدّد لتوزيع وترتيب تخييمهم حول المشكان (بيت العبادة) والترتيبات المُحدّدة للترحال.

وفي النص الأسبوعي الذي يحمل عنوان "نسوا" نرى بأسلوبٍ مُطوّلٍ كيف أن التوراة تأتي مراراً وتكراراً على ذكر الهبات التي منحتها كل قبيلة خلال بناء المشكان، مع العلم بأن جميع القبائل قد منحت القدر نفسه من الهبات. كما أن تقسيم القبائل لم يكن أمراً من باب الصدفة فيما يتعلق ببناء إسرائيل كمجتمع، تماماً كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية التي تقوم تركيبها السياسية أساساً على مبدأ الاتحاد الفدرالي بين الولايات (التي كان عددها ثلاثة عشرة في البداية ثم

أصبحت خمسين ولاية مع مرور الزمن). بمعنى آخر، كان مُجتمع إسرائيل بمثابة اتحاد فدرالي بين القبائل (إلى أن تم تنصيب ملكٍ عليهم).

كما أن وجودَ أمرٍ مُشابه لفكرة القبائل يعتبر مسألة ضرورية جداً للمُجتمع الحُرّ<sup>4</sup>. ودولة إسرائيل الحديثة بُنيت على أساس التنوع والتعددية في المجموعات الإثنية، ففيها اليهودُ الأشكنازيون والسفرديون واليهود القادمون من شرق ووسط وغرب أوروبا، وغيرهم من إسبانيا والبرتغال والبلدان العربية وروسيا وإثيوبيا والقارة الأمريكية وجنوب افريقيا، وأستراليا وغيرها من المناطق. كما تجدُ بينهم اليهود الحسّديين\*\* وعلماء وطلاب اليشيفا (المدارس الدينية اليهودية)، ومنهم "المُعاصرون" ومنهم "التقليديون"، ومنهم العلماءيون ومنهم أيضاً الذين يعتبرون أنفسهم ينتمون للثقافة اليهودية فقط.

ولكل من سلسلة من الهويات التي تتبع بشكلٍ جزئي من خلفيّة العائلة، وبشكلٍ جزئي من طبيعة الوظيفة ومن عامل المكان والمُجتمع الذي ننتمي إليه. إنّ هذه "التركيبة الوسطية" التي تفوق مستوى الفرد وتقل عن مستوى الدولة هي الحاضنة التي تنمو فيها تفاعلاتنا المُعقدة والواضحة والمباشرة مع هوياتنا في إطار العائلة والأصدقاء والجيران والزملاء، وهذه بدورها تُشكّل ما يُعرفُ بشكلٍ جماعي على أنه المُجتمع المدني، والمُجتمع المدني ضروري جداً من أجل الحُرّية<sup>5</sup>.

لهذا، يجبُ على المُجتمع أن يخلقَ حيزاً للهويات الجماعية بجانب الحقوق الفردية. والمثال الكلاسيكي الذي أستحضره لتوضيح عكس هذه الفكرة يعود إلى بداية الثورة الفرنسية، فخلال مُجريات الحديث والنقاش في المؤتمر الثوري الفرنسي سنة 1789م، أصدر كونت كليرمونت تونير البيان المعروف الذي جاء فيه: "سنمنح كل شيء لليهود كأفراد، ولن نمنحهم أي شيء كـ شعب"، فإن أصّر اليهود على تعريف أنفسهم على أنهم شعب وجماعة فرعية تعيش داخل الجمهورية "فسوف نكون مُجبرين على طردهم"، على حدّ تعبير الكونت.

وفي البداية كان يبدو هذا أمراً منطقياً ومعقولاً، حيثُ عُرِضَ على اليهود حينها حقوقٌ مدنية في الدولة العلمانية الجديدة. لكن الأمر كان بعيداً كل البعد عن ذلك، لأن هذا يعني تخليهم عن هويتهم الجماعية كيهود في الإطار العام للدولة، بمعنى أنه لا يجبُ أن تُقف أي هوية دينية أو عرقية بين الفرد والدولة. ولم يكن من قبيل المصادفة أن فرنسا بعد مضي قرنٍ من الزمان قد أصبحت واحدة من معاقل مُعاداة السامية الأوروبية، هذه الظاهرة التي بدأت بالكتاب الماكر الذي أصدره إدوارد درومون (*La France Juive*, 1886) (فرنسا اليهودية) وبلغت أوجها خلال أحداث مُحاكمة دريفوس\*\*\*. وبمجرد سماع ثيودور هرتزل للحشد الباريسي الساخط وهو يصرخ "الموت لليهود" فقد أدركَ بأنه ليس هنالك أي قبول لليهود كمواطنين في أوروبا بالرغم من كل المُحاولات للتظاهر بذلك. ومن هنا وجدَ اليهود أنفسهم يُعاملون على أنهم أبناء قبيلة في أوروبا التي ادّعت بأنها أنهت نظام القبائل، فكانت التحررية في أوروبا تعترفُ بحقوق الأفراد لكنها لا تعترفُ بحقوقهم الجماعية.

وفي هذا السياق يوضّح عالم السلوك الحيواني المُتخصّص في الرئيسيات فرانس دي فال هذه النقطة جيّداً (والذي تحدّثنا عن عمله مع فرود الشمبانزي في مقالة النصّ الأسبوعي الذي يحمل عنوان قورح)، مُبيّناً بأن الثقافة الغربية الحديثة ككلّ قد قامت على أساس مبدأ الاختيار والاستقلالية للأفراد. لكننا فعلياً لسنا كذلك، فنحنُ نرتبطُ ارتباطاً وثيقاً بعائلاتنا وأصدقائنا وجيراننا وتحالفاتنا وأبناء ديننا وعرقنا. ويتابع فرانس قائلاً:

"إنّ اهتمام الأخلاقيات بالحقوق الفردية على وجه الخصوص يميلُ إلى تجاهل العلاقة والاحتياجات والاستقلاليات المُتبادلة التي ميّزت وجودنا منذ الأزل. إنها أخلاقيات باردة تخلقُ فجوة بين البشر مُلقية كل فردٍ منهم في زاوية ضيقة من زوايا الكون. إنّ بروز مثل هذه الصورة للمجتمع في عقول كبار المُفكرين هو أمرٌ في مُنتهى العُموض"<sup>6</sup>.

وهذه على وجه التحديد هي الفكرة التي تريد أن توصلها التوراة عندما قَسَمَت قِصّة بنات صلّحاد إلى جزأين. فالجزء الأول الذي ذُكر في نصّ پنحاس يتعلّق بالحقوق الفردية، أي حقوق بنات صلّحاد في قطعة الأرض. أما الجزء الثاني الذي ذُكر في ختام السّفر فهو يتعلّق بحقوق الجماعة، وفي هذه الحالة كان حقّ قبيلة منسّيه في أراضيها. والتوراة تُؤكّد على أحقية الطرفين لأن كليهما ضروري في المُجتمع الحُرّ.

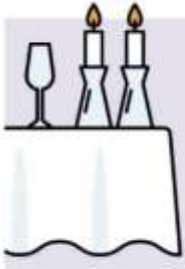
إن الكثير من القضايا التي تبدو شديدة التعقيد في الحياة اليهودية المعاصرة قد ظهرت بسبب كون اليهود، خاصة في الغرب، قد اعتادوا على ثقافة سيادة الحقوق الفردية على كل شيء. إذ يجب علينا أن نحيا كما نريد، وأن نمارس حقنا في العبادة كما نريد، وأن نعرف أنفسنا كما نريد. لكن الثقافة القائمة على الحقوق الفردية فقط ستؤدي إلى إضعاف العائلات والمجتمعات والتقاليد والانتماءات بالإضافة إلى المعايير المشتركة للاحترام والانضباط.

وبالرغم من التركيز الشديد على قيمة الفرد، إلا أن اليهودية تؤكد على قيمة تلك المنظومات التي نحافظ على هويتنا وتحميها كأفراد في الجماعات التي كوّنتمهم. إننا نتمتع بحقوق كأفراد، لكننا نتمتع بالهوية بسبب كوننا أفراداً من قبائل. وإن احترام الأمرين هو مسألة حساسة وصعبة لكنها ضرورية جداً، وسفر العدد يختتم آياته بتعليمنا كيف نقوم بذلك.

**\*\*ملاحظة توضيحية من المترجم:** حركة الحسيديم هي حركة دينية يهودية روحانية إحيائية أرثوذكسية ظهرت في أوروبا الشرقية (أوكرانيا) في القرن الثامن عشر على يد الحاخام يسرائيل بن اليعيزر والذي يُعرف باسم الحاخام بعال شيم توف. ويستند أتباع الحركة الحسيدية (أو الحسيديون، وهي كلمة تعني الوريث أو الأتقياء) في تعاليمهم الدينية إلى الطريقة اليهودية الصوفية المعروفة بالقبالة وذلك بهدف إيجاد تجربة روحية وبديلة ومباشرة للوصول إلى الله عز وجل من خلال الصلاة والتأمل وغيرها من الطقوس بإرشاد رُوح من الربّي (بمعنى القائد الروحيّ صاحب الكاريزما والتأثير). الحركة الحسيدية تعتبر بمثابة توجّه روحيّ بدليل للتوجهات الدينية الرسمية والتعليمية لممارسة المُعتقد اليهودي والتي ظلّت موجودة حتى ظهورها في تلك الفترة. وخلال أحداث المحرقة (الهولوكوست) كادت الحركة الحسيدية على وشك الاندثار، لكن العشرات من الفرق الحسيدية لا زالت موجودة حتى يومنا هذا ويتركز وجودها في دولة إسرائيل والتجمعات المدنية في نيويورك.

**\*\*ملاحظة توضيحية من المترجم:** وُلِدَ ألفريد دريفوس في التاسع من شهر تشرين الأول/أكتوبر عام 1859م وتوفي بتاريخ الثاني عشر من شهر تموز/يوليو سنة 1935م، وكان ضابطاً في سلاح المدفعية الفرنسي ونحدر من أصول يهودية، تحديداً من منطقة ألزاس. كانت محاكمته وإدانته بالخيانة سنة 1894م واحدة من أكثر الأحداث السياسية استقطاباً ومأساوية في التاريخ الفرنسي المعاصر والتي صارت تُعرف باسم "قضية دريفوس". كان لهذه القضية صدى واسع في أوروبا، وانتهت بتبرئة ألفريد دريفوس من التهم المنسوبة إليه. بدأت القضية بتسريب معلومات تتعلق بقطع جديدة لسلاح المدفعية الفرنسي إلى المُلحق العسكري الألماني في باريس من خلال أحد الجواسيس، والذي يُعتقد بأنه كان من الرتب العليا في رئاسة أركان الجيش الفرنسي. وعلى الفور بدأت الشكوك تحوم حول ألفريد دريفوس الذي اعتُقل إثر ذلك بتهمة الخيانة بتاريخ الخامس عشر من شهر تشرين الأول/أكتوبر سنة 1894م. وبتاريخ الخامس من كانون الثاني/يناير سنة 1895م وبمُنتهى السرعة تمت إدانة ألفريد دريفوس بتهمة الخيانة خلال محكمة عسكرية سرية، كما تم تجريده من رتبته العسكرية في الجيش وحُكم عليه بالسجن مدى الحياة في جزيرة الشيطان في منطقة غويانا الفرنسية. وفي شهر آب/أغسطس من عام 1896م قام الرئيس الجديد لاستخبارات الجيش الفرنسي الفريق كولونيل جورج بيكار بإرسال تقرير إلى قيادته موضحاً بأنه وجد دليلاً يُثبت بأن الخائن كان الزائد فرديناند والسين إستراهزي وليس ألفريد دريفوس، لكن تم إسكات الكولونيل جورج بيكار عبر نقله ليعمل في قوات المشاة الموجودة في منطقة سوسة التونسية في شهر تشرين الثاني/نوفمبر سنة 1896م. وعندما تسربت تقارير إلى الإعلام حول مُحاولات الجيش لإخفاء احتمالية براءة ألفريد دريفوس انتشر جدلٌ واسعٌ حول معاداة السامية والهوية الحقيقية لفرنسا: فهل هي دولة لشعب كاتوليكي أم جمهورية أقيمت على أساس الحقوق المتساوية لجميع مواطنيها. وبفضل الرأي العام عرض الرئيس الفرنسي آنذاك إميل لوبيه عفواً عاماً على ألفريد دريفوس، وقبله وتم إطلاق سراحه عام 1899م. لكن هذا العفو كان بمثابة تنازل من قبل الجيش حتى لا يعترف بالخطأ الفاضح الذي اقترفه بحق دريفوس والذي كان سيعود لجزيرة الشيطان لو لم يقبل بهذا العفو، وهو حكمٌ لم يكن قادراً على إكماله أو التعاطي معه عاطفياً، بالتالي ظلّ دريفوس خائناً رسمياً لفرنسا بالرغم من إطلاق سراحه. وبتاريخ الثاني عشر من شهر تموز/يوليو عام 1906م قامت لجنة عسكرية بتبرئة ألفريد دريفوس رسمياً من جميع التهم المنسوبة إليه بعد مضي اثني عشر سنة على إدانته بتهمة باطلاة، وعاد إلى الجيش الفرنسي وتمت ترفيته ليحمل رتبة رائد (Chef d'Escadron).

1. كلمة "حقوق" بالطبع خارجة عن سياقها الزمني لتاريخ استخدامها، فهذه الفكرة لم تكن موجودة حتى القرن السابع عشر للميلاد. ومع هذا فإنه ليس من الخطأ أن نرى فكرة الحقوق موجودة في مطالب البنات حين سألن: "لِمَ يَنْقُص اسم أبنينا من بين عشرينته؟" (تبعاً لما تذكره الآية الرابعة من المقطع السابع والعشرين من سفر العدد).
2. هذان الجزءان قد يكونان المصدر لقصة الحاخام الذي سمع طرفي خلاف زوجي وقال للزوج والزوجة: كلاهما مُحِقٌّ. فيوجه أحد أتباع الحاخام سؤالاً له: "كيف يكون كلاهما مُحِقّاً؟" فيجيبه الحاخام: "أنت مُحِقٌّ أيضاً".
3. المصدر: *Kli Yakar Numbers 13:2*
4. المصدر الذي نُشر مؤخراً: Sebastian Junger, *Tribe: On Homecoming and Belonging* (Fourth Estate, 2016).
5. هذا هو الطرخ الذي كان أبرر من طرحه وبيّنه إدموند بيرك وألكسيس دي توكفيل.
6. المصدر: Frans de Waal, *Good Natured* (Harvard University Press, 1996) 167



## حَوْلَ مَائِدَةِ يَوْمِ السَّبْتِ الْمُقَدَّسِ: أَسْئَلَةٌ لِلتَّأْمُلِ

- 1- ما هي الجماعات التي تنتمي إليها هويتك؟
- 2- لماذا يعتبر انتماء المرء لجماعة أو قبيلة معينة أمراً هاماً؟
- 3- هل من الصعب احترام حقوق الأفراد والجماعة في المجتمع؟ ولماذا؟

• These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at <https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/matot/the-complexity-of-human-rights/>

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

